الأمن الإنساني وحقوق الإنسان:
رؤيـة جـامـعـة الدول العـربيـة

أ. نور الدين حشّاد(*)

حضرات الإخوة والأخوات،
سعادة السفراء،
أوّلا، اسـمحوا لـي أن أشـكر الدكتور الطيب البكّوش على دعوته الكريمة لحضور هذه الندوة. كما أشكر، أيضا، الدكتور عاطف عضيبات، مدير المركز الإقليمي للأمن الإنساني في المعهد الدبلوماسي الأردني على تمكيني من المساهمة في هذا اللّقاء.
والحقـيقة، فقـد لفت انتباهي حديث بعض الإخوة حول صعوبة التطرّق في إطار الجامعة العربـيّة والمـنطقة العربـيّة بشكل عام إلى مواضيع حقوق الإنسان رغم وجود المركز الإقليمي الإنساني في بلد عربيّ هو الأردن.
شـعرت عند التطرق إلى هذه المسألة بصعوبة المهمّة نظرا لحداثة مفهوم الأمن الإنساني الذي أعترف أنّني لست ملمّا به. والحقيقة، يُفترض في هذه المرحلة بالذات أن نظل نتحدّث حـول هـذا المفهوم في مستوى العموميّات دون الولوج إلى الجزئيّات باعتبار أنّه سوف يصبح في المستقبل متداولا في أروقة المنظمات الدوليّة والندوات وغيرها.

---

* نائب الأمين العام لجامعة الدول العربية، رئيس مركز تونس.

من ناحية أخرى، فإنّ مهمّتي اليوم صعبة وخاصّة أمام هذا الحشد من المناضلين والنشطاء فـي مجال حقوق الإنسان والذين ساهموا في عمليّة تعزيز وتدعيم مفاهيمها رغم الحواجز والهموم العربيّة.

المسـألة أيضا صعبة، إذا أردت تناولها من وجهة نظر جامعة الدّول العربيّة، إلاّ أنّني لن أتحـدّث فـي هـذا الموضوع باسم الجامعة، ولكنّني كمسؤول وأمين عام مساعد منذ ستّ سـنوات، أقـول بكلّ صراحة إنّ موضوع حقوق الإنسان غير مطروح على أجندة جامعة الـدّول العربيّة كمنظمة إقليميّة عربيّة، فما بالك بموضوع الأمن الإنساني الذي هو مفهوم حديـث دخـل قاموسنا العربي منذ بضعة أشهر بعد الجهود التي بذلتها اليونسكو في هذا المجـال. ومن هنا سأحاول، بعد المداخلة القيّمة للدكتور البكّوش والتي تناول فيها مختلف جوانـب موضـوع الأمـن الإنساني وحقوق الإنسان الذي بدأ ينمو ويتطوّر، تقديم بعض الملاحظات التي يمكن أن تثري هذه المسألة في المستقبل.

أعـتقد، أنّ مفهـوم الأمن الإنساني يهمّ الفرد أساسا وذلك عبر التاريخ والعصور، إلاّ أنّ موضـوع حقـوق الإنسان يبقى من الموضوعات الضّيقة والنخبويّة مادام تداولها يتمّ في مسـتوى النخـب الثقافـيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والحقوقيّة، مثلما تبيّن في المحاضرات السابقة.

أمّـا فهمي للأمن الإنساني، فهو يبشّر بمفهوم في مستوى جامع وشامل للإنسان لكي يعيش ويشـعر بإنسانيّته لأنّه، حسب تقديري، الإنسانيّة جمعاء منذ انبعاثها وهي تحاول من خلال مسيرة طويلة ومتواصلة أن تفرض متطلّبات وجودها وأمنها.

ولكـنّ السـؤال الـذي يتبادر إلى ذهني اليوم، هل أحسّ المواطن الغربي بإنسانيّته خلال القرنين الماضيين أو منذ ما يسمّى بالثورة الصناعيّة رغم ما جلبت إليه من تقدّم اقتصادي وصناعي واجتماعي ؟

وفـي هـذا السياق، أنتهز الفرصة وبجانبنا صديق سويسري، لطرح سؤال آخر، هل أنّ المواطن السويسري رغم ما يتمتّع به من حقوق، يعيش بالفعل إنسانيته بالشكل الذي نتوقّعه ؟ وبالمقابل، ألا توجد بعض الفئات في المجتمعات

العربيّة والإفريقيّة وبعض المناطق في آسيا، تعيش بطريقة إنسانيّة أفضل بكثير ممّا يعيشها البعض الآخر في المجتمعات المتقدّمة ؟

كذلك، هناك مسألة أخرى أريد التطرّق إليها وهي مسألة العولمة التي أعتبرها من الأسباب المباشرة لنشوء فكرة الأمن الإنساني. وأعتقد، أنّه يتحتّم علينا اليوم تحديد موقعنا وما يمكن أن نجنـيه مـن العولمة التي أصبحت بهياكلها الخاصّة تسيّر المجتمع الدّولي وتقنّن حياته ومسـاره، فما يمكن أن توفّره العولمة اليوم للإنسان من مكاسب وحقوق، يمكن أن تحرمه منها في الغد.

إنّ مـا يجـري اليوم، وخاصّة بعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول في أمريكا، يبعث على القلق وعدم الأمان حيث أصبح يتداول بين الناس، ما معناه، أنّ مرحلة جديدة في تاريخ البشريّة ليست كسابقاتها قيد التشكّل. ولكن، باعتقادي أنّه يجب التقليل من مخلفات أحداث نيويورك وواشنطن وخاصّة في مجال الأمن الإنساني وحقوق الإنسان وحمايتها.

وإذا أخذنا بكلّ ذلك، فإنّ اللاّفت للانتباه هو أنّ الأمريكيين أنفسهم، هم من كانوا وراء بعث قضـيّة حقـوق الإنسـان، وخاصّـة بعـد حرب فييتنام وذلك لامتصاص غضب الشباب الأمريكـي. كمـا استغلّ الرئيس كارتر حقوق الإنسان كأداة للمناورة السياسيّة ولتقويض أركـان المعسـكر الاشـتراكي وعلى رأسه الاتّحاد السوفياتي سابقا. ومن المفارقات أنّ الحـركات الإسـلاميّة فـي أفغانستان اليوم هي نفسها التي حاربت وخاصّة في الثمانينات وبدعم أمريكي، الوجود السوفياتي في المنطقة.

ومن المفارقات أيضا، أنّنا اليوم بعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول، نجد أنّ هذين العنصرين أي الحركات الإسلاميّة كعنصر أوّل وحقوق الإنسان كعنصر ثان، يُقبران في الولايات المتّحدة الأمريكـيّة نفسـها، وأصبح وجود هذه الحركات مع ما تطرحه من أفكار أصوليّة، يمثّل مشـكلا أساسيّا بالنسبة للإدارة الأمريكيّة والأوروبيين على حدّ سواء، وصل اليوم إلى حدّ الحديـث حـول تدخّـل تلك الدّول من أجل تعديل المناهج التعليميّة وتغيير محتوى الكتب والمقرّرات التي تدرّس للأطفال والشباب في بعض البلدان العربيّة والإسلاميّة.

أمّـا المسـألة الثانية، فهي تتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة. والحقيقة أنّ كلّ من يشاهد التلفزات الأوروبـيّة يحـسّ بامتعاض وخجل كبيرين لكيفيّة معالجتها مسألة الصّراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي.

وفـي هذا الاتّجاه، أودّ أن أعرض عليكم وجهة نظر الممثّل والمخرج الأمريكي المعروف »وودي ألان« حـول الصّراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وهو الذي أيد السياسة الأمريكيّة بعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول، حيث يزعم أنّ إسرائيل هي دولة صغيرة، وأنّ اليهود عانوا كثـيرا في أوروبّا، وجاؤوا لكي يستقرّوا في فلسطين، «ولكنّ الفلسطينيين لم يكونوا ظرفاء معهم وأجبروهم على الحرب».

أعـتقد، أنّه لا يمكننا الحديث عن الأمن والسلم الدوليين إلاّ بتطبيق قرارات الأمم المتّحدة وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه كاملة، كحقّ تقرير المصير وبناء دولته المستقلّة، مثلما حصل بالنسبة لجنوب إفريقيا وكوسوفو وألبانيا وغيرها.

إنّ مـا نلاحظـه الـيوم في بلداننا العربيّة هو اتّساع الفجوة في علاقة الشعوب بأنظمتها، وكذلك بين المثقّفين والشعوب من جهة والحكومات والمثقّفين من جهة أخرى، ممّا أدّى إلى نوع من التفكّك في مستوى العلاقات الاجتماعيّة في مختلف المجتمعات العربيّة.

فـي الخـتام، أعتقد أنّ الكلمة الوحيدة المطروحة على أجندة الجامعة العربيّة حول مفهوم الأمن هي الأمن القومي، ولكنّني أتساءل هل الأمن الإنساني يدخل في إطار الأمن القومي ؟ وبدون أمن قوميّ، هل يوجد أمن إنساني ؟ فهذا سؤال مطروح علينا جميعا.